المحاضرة العاشرة (١)
فلسفة هيرقليطس

نبدأ محاضرتنا عن فلسفة هيرقليطس بمناقشة أولاً قوله بالتغير وثانياً قوله أن النار هي المبدأ الأول للوجود.

في المسألة الأولى وهي التغير يؤكد هيرقليطس أن كل شيء في حالة سيلان دائم .فكل شيء في حالة تغير دائم سوى قانون التغير ذاته. فالتغير هو قانون الوجود ولولا هذا التغير لم يكن هناك شيء .فالإستقرار كما يرى موت .

فالتغير هو صراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض . فالصراع دائم مستمر بين الحياة والموت ، والليل والنهار والصحة والمرض ،والخير والشر وهكذا ، فإذا وجدت الحياة غاب الموت ، وإذا ظهر الليل اختفى النهار ، وإذا وجدت الصحة فالمرض غائب . وهكذا يستمر الصراع بين الأضداد ليقضي بعضها على بعض .فالماء يحيا بموت التراب والعكس صحيح .فكل شيء يحيا بقضائه على غيره ويموت حينما يقضي عليه غيره ، فلولا هذا الصراع لما كانت الحياة ولما كان الموت .

ونتساءل كيف عرف أو استدل هيرقليطس على قانون التغير ؟

لقد استدل هيرقليطس على ذلك من خلال :

١ – جريان الماء في النهر ، حيث رأى أن مياه النهر في حالة تغير دائم لذلك يقول : " أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين فأن مياهاً جديدة تجري من حولك أبدا" أي أن مياه النهر الذي نزلته تجري باستمرار فهي ليست ذات المياه التي نزلتها قبل دقائق أو ساعات أو أيام ... الخ

المحاضرة العاشرة (٢)
فلسفة هيرقليطس

- ٢ – اضطرام النار ، أي اشتعال النار . وهذه أحب لهيرهليطس من الصورة الأولى ،.ربما لأنه فيلسوف عقلي يميل إلى التجريد ، كما أن النار أسرع حركة وأدل على التغير .
- نلاحظ هنا أن هيرقليطس عرف هاتين الصورتين ،اعتماداً على الملاحظة وهذا يجعله يساير المدرسة الأيونية في منهجها الذي اعتمده فلاسفتها وهو الملاحظة أو المشاهدة والتجربة ، صحيح أنه كان يحتقر كما ذكرنا التجريب لكن كما يبدو أنه اعتمد على الملاحظة .
- أما لماذا قدم لنا صورتين : مياه النهر واضطرام النار ، فالجواب كما نرى لأنه فيلسوف ارستقراطي ، يباعد بينه وبين العامة لذلك فقوله بمياه النهر كما نرى أراد به العامة التي نستدل على ذلك بهذه الصورة . واضطرام النار أراد به الخاصة التي تميل للعقل وكل ما هو مجرد .